التوازي في اللغة العربية المفهوم ومجالات التطبيق

م.م. هبة حرير نعمة
Dr.hiba.harir.neama@utq.edu.iq
جامعة ذي قار/ كلية الطب

الملخص

تعتبر اللغة العربية من اغنى اللغات السامية بالألفاظ والتراكيب ، والأساليب وانطلاقاً من قول ابن جني "اللغة هي ما يعبر به كل قوم عن مقاصدهم "[١] فإن الهدف الرئيسي من اللغة هو التعبير عن المقاصد والمكنونات والتواصل وكي يتحقق هذا التواصل يسلك المرسل أساليب عدة ويستعمل بنيات لغوية مختلفة ,تختلف باختلاف المقصد والمتلقي بالإضافة الى البناء التركيبي والأساليب الخاصة بكل لغة من اللغات هناك العديد من المكملات التي تزيد الكلام جمالية وقوة تأثير ,ويعد التوازي من أهم هذه الظواهر اللغوية التي يمكن ملاحظتها في جميع مستويات اللغة العربية،الصوتية، والصرفية ،والدلالية وتتداخل مع ظواهر أخرى كالتكرار ،والتماثل،والتساوي ،والترصيع والسجع ،تهدف هذه الدراسة الى رصد التوازي في نصوص ومستويات مختلفة من اللغة العربية وتوضيح التداخل الحاصل بالمصطلح والمفهوم بين القدامى والمحدثين .

الكلمات المفتاحية :التوازي، التكرار، القرآن الكريم ،االتوازي التركيبي.

Applying diversity in the Arabic language concepts and fields

Hiba Harir neama
ThiQar University/College of medicine

Abstract

The Arabic language is considered one of the richest Semitic languages in words, structures, and styles. Based on Ibn Jinni’s words, “Language is what every people expresses their intentions with.”1 The main goal of the language is to express the intentions and components and communicate. In order to achieve this communication, the sender uses several methods and uses linguistic structures. Different, differing depending on the destination and the recipient, in addition to the syntactic structure and methods specific to each language. There are

many supplements that increase the aesthetics of the speech and the power of its impact , and semantics and overlap with other phenomena such as repetition, symmetry, equality, assonance, and assonance. This study aims to monitor parallelism in different texts and levels of the Arabic language and clarify the overlap occurring in the term and concept between the ancients and the moderns.

Keywords: parallelism, repetition, the Holy Qur'an, synthetic parallelism.

مقدمة :

الغاية من التواصل اللغوي هو الاقناع والتأثير ،لذا فإن المتكلم يعمد دائماً الى تجميل لغته كي يكون كلامه اكثر وقعاً في النفوس واللغة العربية ثرية بالظواهر التي تؤدي هذه الوظيفة ، ولم يقتصر استعمال هذه الظواهر على نص معين أو مستوى لغوي واحد ،ومثال على ذلك ظاهرة التوازي، التي تقوم على التشابه بين المباني والتنوع بين الدلالات او المعاني وهذا يعني إن المقصود بالتشابه وفق مفهوم أنواع التوازي وبحسب هيكلية التعبير في البناء اللغوي إن التوازي قد يكون قائم على تكرار صوت معين وفقاً للمقام السياقي ،وقد يكون إعادة منسقة لبعض الصيغ الصرفية والنحوية ، والبلاغية واعتمادا على ما سبق يكون التقسيم الأساسي لأنواع التوازي .

التوازي لغةً

جاء تعريف التوازي في معجم العين "معنى الازاء :المحاذاة نقول هو أزاء فلان أي بحذائه وكل شيء انظم الى شيء فقد أزى اليه " [٢] اما في لسان العرب فالتوازي مشتق من الفعل وزى الذي يعني "الاجتماع وزى الشيء يزي :اجتمع وتقبض يُقال :وزى فلان فلاناً لأمر أي غاظه ،قال يزيد بن الحكم :

اذا ساق من أعيار صيف مصامة وزاه نشيجٌ عندها وشهيق

والموازة هي المقابلة والمواجهة "[٣] ولم يأت معجم مقاييس اللغة بجديد الا أن المصدر الصريح توازي مشتق من الفعل توازى ،إذ هو توازٍوهو مأخوذ من الجذر وزي والذي يدل على تجمع في شيء واكتناز "فيقال للرجل القصير وزى ،واوزى ظهره الى الحائط اسنده والموازة هو المقابلة والمواجهة ."[٤] ومما سبق يتضح أن المعاجم اللغوية اتفقت على الاجتماع والمقابلة والمواجهة معنى لغوي موحد للتوازي وهو المطلوب .

التوازي في الاصطلاح :يقوم مفهوم التوازي في الرياضيات على وجود علاقة بين رمزين هندسيين،اما في اللغة فتحدد هذه العلاقة بحسب بنية النص اللغوي وتركيبه ومقصده ، التعريفات

الاصطلاحية للتوازي اللغوي تتفق على وجود طرفين بجملة التوازي ، فقد عرف التوازي بإنه (اشبه ما يكون بمتواليتين متعاقبتين او أكثر لنفس النظام الصرفي والنحوي المصاحب بتكرارات او اختلافات ايقاعية وصوتية ومعجمية دلالية)[٥]

وعُرف أيضا بإنه (نسق التقريب وا لمقابلة بهدف البرهنة على تشابههما واختلافهما بين محتويين أو سردين وذلك بالتركيز على التطابق والتعارض بين الطرفين بوساطة الإيقاع والتركيب) [٦]

ومنهم من عرفه اصطلاحاً بإنه (عبارة عن تماثل قائم بين طرفين من السلسلة اللغوية ،والطرفين هما جملتين لهما نفس البنية ،بحيث تكون بينهما علاقة مبنية اما على أساس المشابهة او التضاد)[٧] والتوازي في الشعر" هو عنصر بنائي يقوم على تكرار أجزاء متساوية "[٨]

اما وفق علم اللغة النصي فالتوازي "نوع من تكرار المباني مع اختلاف العناصر التي يتحقق فيها المعنى "[٩] وكذلك هو "إعادة لبنية ما او بعض عناصرها مع اشتراك في المعنى او اختلاف فيه "[١٠] وهذا ما يُعرف بالتوازي التركيبي والذي يقسم الى توازي البنى المتغايرة وتوازي البنى المتشابهة والمكون من دالات تحقق وظيفة دلالية إذ؛ تقوم المتوالية الأولى بعرض فكرة ما ،ثم تكررها المتوالية الثانية بتطابق[١١] ، ومثال ذلك قوله تعالى في سورة الواقعة (أفرأيتم ما تحرثون *أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) (لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون) وقوله تعالى (افر أيتم الماء الذي تشربون أأنتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون لو نشاء لجعلناه اجاجا فلولا تشكرون) التوازي في هذه الآيات ينتج من التقاء المتواليات المتوازنة بنقطة ارتكاز هي الله الخالق الواحد الذي خلق الزرع وانزل الماء من المزن ولو شاء لمحى ذلك بلمح البصر بقدرته وعظمته، وتكمن أهمية هذا التوازي الى احداث تأثير مباشر في المتلقي وقناعاته .

أهمية التوازي

تكمن أهمية التوازي في (تمايز اللغة الفنية في مبناها ومعناها عن اللغة العادية تمايزاً يسهم فيه احتكامها الى منظومة قواعد تفرغ الالفاظ في قوالبها ودلالاتها وتصحبها بمحسنات لفظية ومعنوية من علم البديع ،من شانها اثارة المتلقي بتحسين الدلالات ،والاسهام في كشف جمالية ايقاعات تراكيبها)[١٢]وبما ان التوازي ظاهرة جمالية عامة يمكن رصدها بمختلف النصوص ،فأهمية التوازي في اللغة الشعرية تكمن بعده قانوناً مهماً من قوانين الإيقاع ،فبتنسيقه الصوت والدلالة اللفظية وبالتالي تصبح الدوال ومدلولاتها مترابطة متماسكة في السياق ، وفي النصوص النثرية "له دور فعّال في تنظيم البنى التركيبية والاشكال والمقولات النحوية ،وفي مستوى تنظيم الترادفات المعجمية وتطابقات المعجم التامة ،وفي مستوى تنظيم تأليفات الاصوات والهياكل التطريزية وترتيبها ،مما يكسب النصوص الشعرية والنثرية المترابطة بوساطة التوازي انسجاما واضحا وتنوعاً "[١٣] فالتوازي له دور في التأسيس والتنظيم"[١٤] ولأن اللغة العربية تولي الإيقاع

وموسيقى الالفاظ اهتماماً كبيراً لما له من تأثير على دلالات الالفاظ والمتلقي ،وما لذلك من اثر في تغيير القناعات وإيصال الأفكار وجد التوازي في القرآن الكريم والشعر والنثر.

التوازي بين القدامى والمحدثين

درس القدامى كل الظواهر اللغوية التي عرفوها في اللغة ،ولم يكن التوازي بمعزل عن هذه الدراسات الا انهم لم يفصلوا الحديث عنه بل جاء ذكره ضمن الفنون البلاغية التي عملها ضبط النص وتنسيقه ، وبما إن محور الدراسات اللغوية هو النص الخطابي المتمثل بالقرآن الكريم والنصوص الشعرية القديمة ، والتي تركز على الإيقاع ومدى تأثيره على التناسق والتماسك النصي فالعرب قبل نزول القرآن كان لكل موقف شعري إيقاع مميز ونجدهم قد ركزوا على أصوات معينة والقرآن الكريم كذلك اختلفت فيه إيقاع الالفاظ حسب المقام والمناسبة الخطابية ،لذلك يمكن تقسيم اراء العلماء للتوازي كالآتي : من ادرجه ضمن السجع وانواعه ،يقول قدامة بن جعفر ت (٣٣٧هـ)" واحسن البلاغة الترصيع والسجع ،واتساق البناء ،واعتدال الوزن واشتقاق لفظ من لفظ وعكس ما نظم من بناء ،وتلخيص العبارة بألفاظ مستعارة ،وايراد الأقسام موفورة التمام ،وتصحيح المقابلة بمعانٍ متعادلة ،وصحة التقسيم باتفاق النظوم ،وتلخيص الاوصاف بنفي الخلاف والمبالغة في الرصف بتكرير الوصف ،وتكافؤ المعاني في المقابلة ،والتوازي ،وارداف اللواحق وتمثيل المعاني "[١٥] نلاحظ انه ذكر التوازي ضمن مجموعة من اساسيات جمالية النص و التي تتعلق بالألفاظ والمعاني ولم يفصّل التوازي ،واخذ بمعناه اللغوي الذي هو المواجهة والمقابلة قال في حديثه عن تصحيح المقابلة :"فيؤتى في الموافقة بالموافقة وفي المضادة بالمضادة كقوله :(أهل الرأي والنصح ،لا يساويهم ذوو الأفن والغش ،وليس كمن جمع الى الكفاية الأمانة ،كمن جمع الى العجز الخيانة)،وإذا تؤملت هذه المقابلاتُ وجدت في غاية المعادلة ؛لأنه جعل بإزاء الرأي الافن وبإزاء النصح الغش ،وفي مقابلة الكفاية العجز ،وفي مقابلة الأمانة الخيانة "[١٦]

وممن ذهب الى إن التوازي من السجع النويري ت(٧٣٣هـ) يقول :"والسجع أربعة انواع هي : الترصيع والمتوازي والمطرّف والمتوازن .اما الترصيع :فهو ان تكون الالفاظ مستوية الاوزان متفقة الاعجاز ،كقوله تعالى (إنَّ إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم)... وأما المتوازي فهو ان يراعى في الكلمتين الاخيرتين من القرينتين الوزن مع اتفاق الحرف الأخير منهما ،كقوله عز وجل (فيهما سرر مرفوعة واكواب موضوعة)...واما المطرف فهو ان يراعى الحرف الأخير في كلمتي قرينتيه من غير مراعاة الوزن ،كقوله تعالى (ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا)...واما المتوازن فهو أن براعى في الكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزن مع اختلاف الحرف الأخير منهما كقوله تعالى (ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة)[١٧].

فهو يرى ان اتفاق الحرف الأخير في الوزن بين المتواليتين هو الذي أهلهما لحمل سمة التوازي إذ أضاف هذا الاتفاق "وظيفة جمالية احدثتها التلازمية بمبدأ التجانس الصوتي ،اتفاق الفواصل في الحرف الأخير والتجانس الخطي اتفاق الفواصل في الوزن "[١٨]

وعلى ما يرى النويري المتوازي (يحاذي ما تؤديه القافية في النماذج الشعرية إلا ان المتوازية في النثر والقافية في الشعر)[١٩] .

ولأبي هلال العسكري ت(٣٩٥) استعمالين للتوازي احدهما من المعنى اللغوي الذي هو المقابلة والمواجهة ، وثانيهما التوازي جزء من السجع مع التوسع بالمفهوم بجعله التوازي مرادفاً للتعادل أي التساوي[٢٠] فيقول: "والسجع على وجوه .....فمنها ان يكون الجزأين متوازيين متعادلين لا يزيد احدهما على الاخر ،مع اتفاق الفواصل على الحرف عينه "[٢١] ووضح التعادل بالتساوي والتوازي بالتوازي "...فهذه الفواصل متوازية لا زيادة في بعض اجزائها على بعض "[٢٢]

وقوله : "وإن امكن ايضاًأن تكون الأجزاء متوازية كان اجمل ،وإن لم يكن ذلك فينبغي أن يكون الجزء الأخير أطول "[٢٣] وقد تبعه في ذلك ابن الاثير ت(٦٣٧هـ)باستعمال التوازي بمعنى التساوي ونستطيع تبين ذلك من قوله: "فمما جاء من هذا النوع منثوراً قول الحريري في مقاماته : فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ،ويقرع الاسماع بزواجر وعظه "،فإنه جعل الفاظ الفصل الأول مساوية لألفاظ الفصل الثاني ،فجعل "يطبع "بإزاء" يقرع ""والاسجاع "بإزاء "الاسماع "[٢٤].

لكنه في موضع اخر جعل الترصيع شكلاً عاماً والتوازي احد انواعه "الترصيع ... ان تكون كل لفظة من الفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من الفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية "[٢٥].

نلحظ أن موضع الاختلاف بين ابن الاثير والعسكري يكمن في جعله كما قلنا يندرج تحت الترصيع اما العسكري فقد اخرج القرينتين الأخيرتين من الترصيع واقتصر على الحشو "وهو يقصد بذلك الترصيع أن يكون حشو البيت مسجوعاً "[٢٦] ولتوضيح معنى التوازي والفرق بينه وبين الترصيع عند القدامى نذكر المثال الاتي الوارد في كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري[٢٧]:

فمكارم اوليتها متبرعاً وجرائم الغيتها متورعاً

١-عند من جعل التوازي في الفاصلتين الأخيرتين مع اعتبار الوزن والقافية ، وخصوا الترصيع بحشو البيت [٢٨]:

فمكارم اوليتها /متبرعاً

وجرائم الغيتها /متورعاً

حشو البيت الضرب والعروض

ترصيع توازي

سجع

٢- أبو هلال العسكري :استعمل التوازي بمعنى المواجهة مرة وبمعنى التساوي والتعادل

فمكارم /اوليتها /متبرعاً

وجرائم الغيتها متورعاً

تساو /تساو/ تساو

تعادل /تعادل /تعادل

تواز/تواز /تواز

٢- أبو هلال العسكري :استعمل التوازي بمعنى المواجهة مرة وبمعنى التساوي والتعادل

فمكارم /اوليتها /متبرعاً

وجرائم الغيتها متورعاً

تساو /تساو/ تساو

تعادل /تعادل /تعادل

تواز/تواز /تواز

تواز تواز تواز

توازي ترصيع

هذا فيما يخص التوازي عند القدامى وقد بّينا سابقاً اراءهم ورؤيتهم .

التوازي عند المحدثين

لا يقتصر التطور الحضاري على مجال معين من مجالات الحياة ،فباتساع الدراسات اللغوية توسعت مفاهيم وتطورت دلالاتها وأصبحت أكثر شمولية ، والتوازي احد هذه المفاهيم (فقد شهد مفهومه تطوراً اخرجه من دائرة القافية والسجع ،ليصبحا جزءاً صغيراً منه ....فاصبح التوازي عن المحدثين ظاهرة دلالية اشد عمقاً أوهو عندهم اعم من التوازن الذي [٢٩] هو "تعادل فقرات الكلام وجمله كما في النثر المزدوج او شطري البيت الواحد من حيث الإيقاع والوزن ،اما التوازي فهو ان يستمر هذا التوازن في النص كله كالموجود في القصيدة ،حيث يتكرر إيقاع كل شطر منها في كل بيت ويستمر حتى نهايتها بحيث يكون الجناح الأيمن من القصيدة يساوي الايسر من حيث الوزن والايقاع "[٣٠]

"نظر المحدثون الى التوازي كضرب من التكرار لكنه تكرار غير كامل"[٣١] (لكون؛ التكرار ناتج عن إعادة وحدات صوتية لتوكيد المعنى أما التوازي فيجاوز ذلك الى التراكيب والدلالات ،ليصبح النص وحدة دلالية تتعلق الفاظه بعضها ببعض مشكلة نظاماً متوازياً ،يسهم في ترجمة ما يريد المرسل ايصاله الى المتلقي)[٣٢]

ارتبط التوازي عن المحدثين بوحدة النص ،فبالإضافة الى دوره في اكساب النص جمالية وتناسق موسيقي ،نجد تأثيره يمتد الى المستوى التركيبي النحوي والتركيبي والبلاغي فيبدو النص وكأنه سلسلة متصلة الحلقات متماسكة ،وبالتالي يمارس النص ويطبق الغاية الأساسية منه وهي التأثير على المتلقي واستبدال القناعات بالنسبة للنص الخطابي والامتاع وايصال الفكرة بالنسبة للنصوص الشعرية ووفق ما سبق التوازي "تأليف ثنائي متماثل ليس متطابق ،وكثير من بُنى النص التي يحويها، بنى متساوية او متكررة تعكس في مجموعها الترابط النصي "[٣٣]

ووفقاَ لما سبق نستطيع القول بإن المفهوم العام للتوازي عند المحدثين ينطلق من (فكرة البرهنة على تطابق نصين او سردين او اختلافهما من خلال العلاقات التسلسلية بين وحدات هذين السردين وتشابه البنيات الصوتية ،فإن هذا التشابه او التقارب بين السردين ، يؤدي الى البرهنة على توازيهما)[٣٤] .

اركان التوازي

يجب ان تتوفر ثلاثة اركان في التركيب كي يحقق شرط التوازي وهذه الأركان هي [٣٥]:

١-السلسلة الكلامية وهي عبارة عن توالي مجموعة من العبارات النصية ضمن سياق واحد

٢-اطراف السلسلة الكلامية :وتمثل تلك العبارات التي تنظام الى بعضها لتشكل السلسلة

٣-التماثل او التشاكل: وهي علاقات داخلية بين عناصر كل طرف من اطراف السلسلة الكلامية مقرونة بما يقابلها من الوحدات الكلامية ضمن الطرف الاخر من السلسلة ذاتها وصولا الى التناغم والتجانس بين هذه الوحدات وبما إن(التوازي مركب ثنائي التكوين احد طرفيه لايعرف الا من خلال الاخر ،ويرتبطان بعلاقة اقرب الى التشابه وهي ليست تطابق كامل ولا تباين مطلق والطرف الثاني يحمل من الملامح العامة ما يميزه الادراك من الطرف الأول ولأنهما ؛طرفا معادلة فهما ليسا منطابقين تماماً ويجب المكافئة بينهما ،ونحاكم الطرف الأول بخصائص وسلوك الطرف الثاني)[٣٦]

فهو يعتمد على السلسلة الكلامية التي تؤلف العبارات المكونة للنص وطبيعة العلاقات التركيبية والدلالية والصوتية التي تربط هذه الأطراف فيما بينها لتنتج لنا نصاً متماسكاً يؤدي الغرض الذي وضع لأجله .

الفرق بين التوازي والتكرار[٣٧]

ارتبط مصطلح التوازي مع مصطلح التكرار بالمفهوم العام لأن ؛كلاهما قائم على الإعادة وبما انه لايوجد تطابق كامل بين الظواهر فلا بد من تحري نقا ط الاختلاف للتفرقة بين هذين الظاهرتين .

التكرار : هو ظاهرة موسيقية في الاغلب تعني إعادة اللفظ او المعنى في الكلام .

وظيفة التكرار تكمن في (ما يثيره من دلالات الحاح ومبالغة في التأكيد وبالتالي تؤدي الى تغيير سلوك وقناعات المتلقي)[٣٨] ويتحقق التكرار عبر أنواع عدة :

١-تكرار الحرف :وهوتكرار حروف بعينها بالكلام ،مما يعطي الالفاظ التي يرد فيها هذا التكرار ابعاداً مميزة وهذا ما نلحظه بكثرة في القرآن الكريم ؛إذ تتكرر حروف تضفي إيقاع صوتي محدد ،يميز السورة حسب السياق المقامي .

٢-تكرار اللفظة :هو إعادة اللفظة نفسها لإغناء دلالة الالفاظ واكسابها قوة تأثيرية .

٣-تكرار العبارة او الجملة :وهو تكرار يعكس الأهمية التي يوليها المتكلم لمضمون تلك الجمل المكررة باعتبارها مفتاحاً لفهم المضمون العام الذي يتوخاه المتكلم .

اما التوازي :فهو التشابه القائم على تماثل بنيوي ،وعادة ما يكون التشابه بين المتوازيين باعتبارهما طرفين متعادلين في الأهمية من حيث المضمون والدلالة ،ومتماثلين من حيث الشكل في التسلسل والترتيب ويشترط في التوازي التوالي ،أي عدم وجود فاصل بين المتوازية .

التوازي عند بعض الباحثين ضرب من التكرار الا انه(تكرار غير كامل ،ويندرج في التوازي الكثير من القوانين الايقاعية الصوتية كالتكرار الصوتي او الصرفي او التركيبي والتساوي والنظام والنبر ،والتنغيم ،والقافية ، والايقاعات غير الصوتية ،ويندرج فيه أيضاً كل ما يتعلق بالبلاغة مثل التوازن والترصيع .....ويكون أيضاً بين الأصوات والجمل واشباه الجمل)[٣٩] .

هذا يعني ان التوازي اعم واوسع من التكرار لكنه يعمل بشرط وجود علاقة بين طرفي المتوالية .

مستويات التوازي وتطبيقاته

إن وظيفة الدرس اللغوي (بيان استعمال المفردات في سياق لغوي معين ،فالنص يتكون من مجموعة من علاقات داخلية ،وهذه العلاقات هي التي تتحكم بفاعلية التشكيل اللغوي داخل سياق النص وتتوقف عليها مدى قدرة التشكيل على اثارة المتلقي كي يكتشف العلاقات بين الوحدات اللغوية ...وبالتالي يكون ابلغ في إيصال المعنى وتأكيده واثباته) [٤٠]

يعتمد نوع التوازي على نوع النص اللغوي والغاية منه ،فالتوازي كما بينا سابقاً ظاهرة جمالية يمكن ان تكون في النص النثري وفي النص الشعري لأن (السبك داخل النص يتم بالوسائل التي تحقق ترابط المعاني النحوية ترابطاً شكلياً)[٤١] لذا فإن التوازي يتشكل بحسب بنية النص (فالموازاة موجودة في الشعر والنثر ،فيكون الوزن في الشعر هو المحدد لبنية التوازي وتحديد الوحدة الموسيقية والبنية العروضية ،وتكرار البنية هو الذي يحدد توزيع عناصر النحو والدلالة اللفظية اما في النثر فالمحدد لبنية التوازي هو الوحدات الدلالية والمعنوية إذ يتأثر أساس المشابهة او التباين او المجاورة بتوازي الوحدات المترابطة بشكل فعّال في بناء الحبكة وتتابع الموضوعات في النثر)[٤٢] .

يندرج تحت التوازي الكثير من القوانين كالتكرار الصوتي والصرفي والتركيبي وكذلك كل ما له علاقة في البلاغة وهذا يحدده العلاقة التي تربط طرفي التوازي لكن بصورة عامة يمكن تقسيم التوازي الى :

التوازي التركيبي (تام – جزئي)والتوازي الصوتي، والتوازي الدلالي اما التقسيمات الأخرى يحددها النص والعلاقات التي تربط طرفي التوازي فيها ،(ويجب ان يتناسب تقسيم التوازي مع مستويات اللغة ؛لأن التماثل خاصية شاملة وتركيبية تشمل جميع مستويات اللغة)[٤٤] *اللغة الشعرية محمد كنوني ص ٢٠٠

التوازي الصوتي

إن لعلماء اللغة العربية دراسات دقيقة في تأثيرالاصوات على المعاني ولهم في ذلك نظريات واراء يرى ابن جني "إن للصوت اللغوي قيمة ذاتية من حيث الدلالة إذا ما وضع في هيكل لغوي خاص "*[٤٥] وبما إن النصوص اللغوية عبارة عن بناء متكامل يستند بعضه الى بعض فلكل مستوى من مستويات اللغة وظيفة خاصة تؤديها فالوظيفة الصوتية "تسهم في تناسق الأصوات حسب ما تتطلبه الدلالة "[٤٦] ومبدأ التوازي يقوم على التماثل وتكرار البنى والحروف لذافإن دور التوازي يكمن في (تعميق الدلالة وتحقيق الإيقاع الموسيقي ،من خلال المناسبة بين دلالة المعنى العام للنص والحروف السائدة فيه ،ولا يُخفى اثر الصوت البالغ في تشكيل بنية التراكيب لاسيما القرآنية منها)[٤٧]

فمثلا تتناسب أصوات الحروف مع المقام والغرض فإذا كان المعنى شديداً كانت الهيمنة والقيادة للحروف ذات الصفات الشديدة والمجهورة كالسور التي توعد الكافرين بالعقاب والسور التي تصف اهوال يوم القيامة كقوله تعالى (إنا ارسلنا عليهم ريحاً صرصرا في يوم نحس مستمر)سورة القمر التوازي هنا على مستوى اللفظ ويقوم على التباين الحاصل بين حرفي الصاد الذي هو من حروف الصفير وصوت الراء الشديد المكرر وهو تصوير للعذاب المفاجئ ، وعندما يكون مقام الحديث عن رحمة رب العالمين ولطفه تكون الحروف المستعملة ذات الأصوات المهموسة اللينة كقوله تعالى: "كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداءً خفيا قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك ربي شقيا" (سورة مريم) نلاحظ الحضور البارز لظاهرتي النبر والتنغيم ودورهما في تحقيق الانسجام الصوتي فالنبر (وضوح نسبي لصوت او مقطع ، بالمقارنة ببقية الأصوات والمقاطع) والنبر في القرآن يحقق نوعين من التوازي*[٤٨] :

توازي نبر الأداء الداخلي ويكون اما ؛توازي تكراري نبري جزئي يحدث نتيجة تكرار جزء من الاية (هاؤم اقرءوا كتابيه)الحاقة ،او توازي تكراري نبري كلي كتكرار لفظ في الاية (اذا زلزلت الأرض زلزالها)او توازي الأداء الصوتي الخارجي كتكرار كلي لبعض الآيات كقوله تعالى (فبأي

الاء ربكما تكذبان) "فالنبر والتنغيم والتجانس الصوتي للحروف في النص القرآني له دور هام في اكساب التراكيب توازياً صوتياً) وهو من اعجاز القرآن الكريم (فالانسجام الحاصل من تكرار الحروف والتي تعطي تلائماً مع المعنى هو من موافقة سنن العرب في كلامها مع اكتساب القرآن الكريم موازاة صوتية فريدة)[٤٩]

ومثال التوازي الصوتي في الشعر قول البردوني[٥٠] :

تسعل الأشجار تحسو ظلها تجمد الساعات من فرط الرتابة

"فتكرار حرف التاء في الفعل الأول من كل جملة ، اعطى إيحاءاً شديداًبالملل والرتابة وكذلك توجد في هذه الأفعال تواز لفظي ترادفي ؛فجميعها توحي بدلالة واحدة وهي :الملل والرتابة وعند اجتماعها حققت دلالة اقوى "

التوازي الصرفي

يقوم التوازي الصرفي "على أساس من تشاكل البنيات الشكلية للوحدات الكلامية ،أي إن هذه تأتي ضمن اطار صرفي موحد كأن يأتي الكلام على اسم الفاعل ،أو على اسم المفعول مثل قوله تعالى (عسى ربُّه إن طلقكن أن يُبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيباًوابكارا)فإن الوحدات الكلامية قانتات ،عابدات ،سائحات من التوازي الصرفي الدال على اسم الفاعل من غير الثلاثي ومسلمات مؤمنات تدل على الشكل الصرفي من غير الثلاثي ،الا أن بينهما توازياً قائماً على أساس من التشاكل الصرفي المبني على صيغة اسم الفاعل "[٥١] ويسمى هذا التوازي الصرفي التركيبي ، اما التوازي الصرفي اللفظي (ينتج بتكرار بنى لفظية ذات صفات متشابهة)[٥٢]

او هو "تكرار المشتقات الصرفية للمفردات مما يوحي بأهمية زائدة خص بها المعنى"[٥٣] يقول ابن الاثير: (اعلم إن اللفظ إذا كان على وزن من الاوزان ،ثم نقل الى وزن اخر أكثر منه ،فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا ..فإن زيد في الالفاظ اوجبت القسمة زيادة المعاني)[٥٤]

قال تعالى (انما يريد الله ليذهب الرجس عنكم اهل البيت ويطهركم تطهيرا)الأحزاب فاعادة لفظتي يفعل وتفعيل لم ترد للتأكيد وتحسين المعنى بل لأظهار فضلهم فالفعل المضارع دال على الاستمرارية والثبات ،والتعبير بصيغة المصدر المطلق تطهيرا يدل على طهارة الباطن والظاهر[٥٥].

ومن التوازي الصرفي القائم على التشابه في الاوزان قوله تعالى (افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى الكم الذكر وله الانثى)" فالتوازي الصرفي في هذه الايات يتمثل بتوافق الاوزان ضمن "العزى ،الأولى ،الأخرى ...كلها تأتي على وزن واحد وهو فعلى وهذا يشير الى نمطية التوازي بين العناصر الصرفية "[٥٦] الحجايا انصاف

التوازي الدلالي "يتكون التوازي الدلالي بارتباط المعاني مع النص المراد بالقرينة المعجمية ،وذلك إن البحث عن الدلالة يكون مرتبطاً بما يوفره السياق من فضاء تأويلي واسع "[٥٧] واغلب التوازي الدلالي يكون في ترادف او تضاد إذ(يستخدم المرسل مفردات تحقق المعنى الواحد او الدلالة الواحدة المرجوة فيعمد الى التكرار الدلالي ارتكانا الى الاختلاف اللفظي)[٥٨] ومن امثلة اتوازي بالترادف[٥٩] :

أذا كنت جبارا فحظك مسعد واسمك موهوب ونجمك زاهر

ففي قوله (حظك مسعد ونجمك زاهر)تواز ترادفي في معنى الالفاظ الغاية منه اظهار التماسك النفسي والقدرة على قهر الغربة وكأن الشاعر يحاول لن يمد نفسة بالطلقة الكافية بقهر الغربة

التوازي التركيبي

(تقوم الوحدات الكلامية في التوازي التركيبي على أساس بنيوي ترابطي ؛فلا توجد وحدة كلامية منعزلة لأنهاذ جميعا تكتسب قيمتها الدلالية بمجاورتها بوحدات أخرى وجميعها تكون السياق المرتبطة به)[٦٠] وبما ان أي نص "يشكل وحدة دلالية قائمة بذاتها وتحقق هذه الدلالة بوساطة الجمل والفقرات من خلال المعاني الجزئية التي تحملها ،والني تساعد في اتساق النص ،ولا يحصل ذلك الا بالعلاقة بين التركيب النحوي الذي ينشأ المعنى الدلالي ،إذ بينهما علاقة اخذ وعطاء فالعنصر النحوي يمد العنصر الدلالي بالمعنى الأساسي والأخير يمد الأول ببعض الجوانب التي يمكن ان تساعد على تحديده وتمييزه [٦١]*التوازي التركيبي في القرآن الحياني

ويعرف التوازي التركيبي بإنه (تأليف لمجموعة من الثوابت والمتغيرات ،فالمتغيرات هي بمثابة اختلافات خالصة في مقابل الثوابت والتي هي عبارة عن تكرارات خالصة،فالموازاة تأليف هي ثنائي لان الموازاة تعادل – تماثل وليست تطابقاً)[٦٢] يابكسون قضايا شعرية

ويتحقق التوازي التركيبي ب دالات لها وظيفة دلالية من ابرزها تقوم المتوالية الأولى بعرض فكرة ما ثم تقوم المتوالية الثانية بتكرارها او مخالفتها ويكون في هذه الحالة توازي ترادفي كقوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ نجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) تتعلق المتواليات المتوازنة بمحور ثابت هو ال فرعون والضمير (كم)هو المؤشر على هذا التعلق والتوازي اعتمد على أساس تركيبي هو فعل +فاعل +مفعول به[٦٣] .

وهناك دالة أخرى هي دالة الطباق[٦٤] وفيه تقوم المتوالية الثانية بمعارضة الأولى لو انكارها مثال قوله تعالى (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئكم هم شر البرية ،إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه) البينة

مشهد الكافرين في الاخرة /في نار جهنم ،خالدين فيها / شر البرية
مشهد المؤمنين /خير البرية ،جنات عدن ،خالدين فيها ،رضي الله عنهم
المشهدان متطابقان متعلقان بمؤكد سابق .

أنواع التوازي التركيبي

يمكن تقسيم التوازي التركيبي الى نوعين:

توازي البنى المنشابهة :وتتم متواليتين هذا النوع على وفق الصورة النحوية نفسها الي تنتظم في صيغ متوازية[٦٥] ويقوم على مبدأ التماثل غير التام ؛لان بعض العناصر المكونة له تبرز اختلاف ومثاله التشابه بين لم ولن[٦٦] .

توازي البنى المتغايرة[٦٧] :

ويقوم هذا التوازي على أساس من التقابل بين وحدتين كلا ميتين ضمن سلسلتين لغويتين ،يوجد بينهما تغاير أو تناقض ، كالتوازي بين المعرفة والنكرة والتوازي بين الصيغ النحوية المختلفة دلاليا مثل : كان واصبح وإن .

قسم احد الباحثين التوازي بوصفه ظاهرة لغوية ايقاعية بلاغية الى ١-تواز بحسب المستوى الصوتي ويشمل :تواز في الأصوات ،تواز في الالفاظ (معجمي)،تواز في اشباه الجمل وتواز في الجمل[٦٨] .

٢ – تواز بلاغي مجازي

٣- تواز بلاغي ايقاعي

٤- تواز بلاغي فكري

٥- تواز تناصي داخلي ،خارجي .

الخاتمة

تمتلك اللغات أنظمة بنائية خاصة بها ،فكل لغة لها ميزات وظواهر تختلف عن غيرها كل بحسب اساسياتها والغرض من الخطاب الموجه بها وأنواع المتلقين .

كرم الله العرب بالدين الإسلامي وكرم لغتهم بالقرآن ، الذي لم يختص بجنس محدد وانما للبشرية جمعاء بمختلف السنتهم ، كما إنه مخزن للعلوم السابقة والمستقبلية مما جعل كل الأمم تركز جل دراستها واهتمامها عليه .

الثروة والكنوز اللفظية التي تمتلكها اللغة العربية استوجبت وجود ظواهر تحدد العلائق بين المفردات في النظام ،وظواهر تضفي جمالية لزيادة التأثير .

التوازي من الظواهر التي لها تأثير مزدوج في اللغة فهو يضفي جمالية على النصوص التي تحويه من خلال تكرار التوازيات الصوتية التي تضفي جمالية خاصة لإيقاع الكلام من جهة

والحفاظ على التماسك النصي لكونه؛ يتكون من طرفين احدهما مرتبط بالاخر بعلاقة تماثل تقوم على الترادف او التضاد.

من أكثر الظواهر اللغوية تداخلا مع التوازي هي ظاهرة التكرار حتى عد بعض الباحثين التوازي ضرب من التكرار لانه يقوم على تكرار البنى المنشابهة وفق دوال محددة .

التوازي في اللغة يعني المقابلة وعده قدامى البلاغيين من السجع ،لكن بأتساع الدراسات اللغوية وتطورها اصبح مفهوم التوازي شامل لكل من القافية والسجع ووجد في مستويات اللغة الصوتية والدلالية والتركيبية .

الهوامش

١. أبو الفتح عثمان بن جني ت (٣٩٥هـ)، الخصائص ج١/ص٦٧

٢- الخليل بن احمد الفراهيدي ت (١٧٤هـ) ،كتاب العين ٣٦٩/٤٠

٣-جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ت (٧١١هـ)،لسان العرب دار صادربيروت -الطبعة ٣

٤-أبو الحسين احمد بن زكريا بن فارس ت (٣٩٥هـ) مقاييس اللغة تحقيق عبد السلام هارون ،دار الفكر القاهرة ط ١،ج٦/ص١٠٧

٥-محمد كنوني ،التوازي ولغة الشعر بحث منشور في مجلة فكرو نقد عدد١٨ -١٩٩٩ص١٨٤

٦-ترجمة إبراهيم الخطيب ،تظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانين الروس مؤسسة الأبحاث العربية والشركة المغربية للناشرين المتحدين الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢ص٢٩٩

٧-محمد كنوني ،التوازي ولغة الشعرمصدر سابق ص ١٨٦

٨- موسى ربايعة ،ظاهرة التوازي في شعر الخنساء بحث منشور في مجلة الدراسات دراسات العلوم الإنسانية ،عدد ٥-١٩٩٥/ص

٩- سعد مصلوح ،نحو اجرومية النص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية -مقالة منشورة في مجلة فصول العدد ٢سنة ١٩٩١ص١٥٩

١٠-د محمد مفتاح ،التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية ،الطبعة الأولى ١٩٩٦المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء،ص ٩٩

١١- د عبد الله خليف الحياني ،التوازي التركيبي في القرآن الكريم /الطبعة الأولى -٢٠٢٣ مطبعة نركال -العراق ،ص ١٥*

١٢- العربي عبد الله بلاغة التوازي في السور المدنية – رسالة ماجستير ،جامعة وهران ٢٠١٥/ص١٩

١٣- بلاغة التوازي في السور المدنية ،مصدر سابق ونفس الصفحة

١٤-د محمد مفتاح ، التلقي والتأويل مقاربة نسقية -الطبعة الأولى ،١٩٩٤-المركز الثقافي العربي -ص١٤٩

١٥-قدامة بن جعفر ،جواهر الالفاظ تحقيق محيي عبد الحميد -ط١٩٧٩،دار الكنب العلمية - بيروت لبنان /ص ٣٣٧
١٦-جواهر الالفاظ مصدر سابق ص ٥
١٧ - شهاب الدين الحمد بن عبد الله النويري ت(٧٣٣هـ) ،نهاية الارب في فنون الادب دط /دار الكتب القاهرة ج-٧،ص١٠٤-١٠٥
١٨-التوازي ولغة الشعر مصدر سابق ،ص٨٠-٨١
١٩-المصدر السابق نفسه
٢٠ -التوازي التركيبي في القرآن مصدر سابق ،ص١٩
٢١-أبو هلال العسكري(ت٣٩٥) ،الصناعتين ط٢ -دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٤تحقيق مفيد قميمة ص ٢٨٧
٢٣،٢٢- الصناعتين ،مصدر سابق - ص ٢٨٨
٢٤-ضياء الدين بن الاثير المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ،قدم له د احمد الحوفي -د بدوي طبانة ، ط١٩٨٣/٢دار الرفاعي الرياض /ج ١-ص٣٩٨
٢٥- المصدر السابق نفسه نفس الجزء والصفحة
٢٦-التوازي التركيبي في القرآن الكريم ،مصدر سابق ص ٢٠
٢٧-المثل السائر ،مصدر سابق -٣٩٨/١
٢٨-التوازي التركيبي في القرآن ،مصدر سابق ٢٢،٢١
٢٩- العربي عبد الله بلاغة التوازي في السور المدنية ،رسالة ماجستير جامعة وهران كلية الاداب والفنون ،٢٠١٥
٣٠-التوازي التركيبي في القرآن الكريم ،مصدر سابق ص ١٥
٣١-المصدر السابق نفسه ونفس الصفحة
٣٢-المصدر السابق
٣٣-اشواف النجار ،التوازي الصوتي في سورة القمر بحث منشور في مجلة كلية الاداب - جامعة بغداد عدد ٥٨/2009/ص٨
٣٤-نظرية المنهج الشكلي ص٢٢٩ ، مصدر سابق
٣٥-انصاف عبد الله الحجايا ،التوازي التركيبي الصرفي في القرآن -رسالة ماجستير ،جامعة مؤتة ص٨،٧
٣٦- يوري لوتمان ، تحليل النص الشعري بنية القصيدة ترجمة محمد فتوح أحمد ط١-دار المعارف المصرية /ص ١٢٩
٣٧-موقع الكتروني حسين الوادي

٣٨-حافظ إسماعيل العلوي ،الحجاج عند البلاغيين العرب ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته :1871

٣٩-التوازي التركيبي في القرآن مصدر سابق ص٦٥

٤٠- د مهدي إبراهيم الغويل ،السياق وأثره في المعنى -اكاديمية الفكر الجماهيري -ليبيا ط١ ٢٠١١

٤١،٤٢- رومان يابكسون ،آراء وأفكار حول اللسانيات ترجمة فالح الامارة - دار الشؤون الثقافية -بغداد الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠،ص ١٠٨

٤٣- عادل خليف - التوازي التركيبي في السور المكية /رسالة ماجستير جامعة اليرموك كلية الاداب ٢٠١٦

٤٤- محمد كنوني ، اللغة الشعرية دراسة في شعر حميد مجيد ط١سنة ٢٠١٣-دار دجلة عمان الأردن ص /٢٠٠

٤٥-جاسم غالي -التشكيل الصوتي وأثره في سورة آل عمران رسالة ماجستير كلية الاداب ،جامعة البصرة ١٩٩٨

٤٦- بلاغة التوازي في السور المدنية ،مصدر سابق ص٤٥

٤٧،٤٨،٤٩-المصدر السابق نفسه ٤٥-٤٧

٥٠-حنان عبده، التوازي في الشعر العرب قراءة أخرى في الأنواع و الاشكال بحث منشور في مجلة الجامعة البيضاء ع١/٢٠١٩

٥١- التوازي التركيبي الصرفي في القرآن ،ص ١٣/مصدر سابق

٥٢- سامح رواشدة ، التوازي في شعر يوسف الصائغ وآثره في الإيقاع والدلالة بحث منشور - مجلة أبحاث اليرموك ع٢/١٧،١٩٩٨

٥٣-بلاغة التوازي في السور المدنية ،مصدر سابق ص /٤٨

٥٤-المثل السائر ج٢:١٦٧

٥٥-بلاغة التوازي في السور المدنية /مصدر سابق

٥٦- التوازي التركيبي الصرفي ،ص١٣ /مصدر سابق

٥٧-بديدية يوسف ،جماليات التوازي في شعر نزار قباني نحو مقارنة سيميائية اسلوبية - أطروحة دكتوراه -كلية الاداب جامعة الحاج ،٢٠١٣ص ٢١٣

٥٨- نور الدين زين العابدين ،مستويات التوازي في شعر وضاح اليمن بحث منشور في مجلة كلية الاداب ،ع ٢ص ١٣٥٨

٥٩- التوازي في الشعر العربي قراءة في الأنواع والاشكال /مصدر سابق

٦٠-التوازي التركيبي في السور المكية ص ١٩/مصدر سابق

٦١-التوازي التركيبي في القرآن /مصدر سابق

٦٢- قضايا شعرية ، مصدر سابق

٦٣-التوازي التركيبي في القرآن ،ص٤١/مصدر سابق

٦٤-التوازي في السور المكية /٥٢،٥٣ مصدر سابق

٦٥-التوازي التركيبي في القرآن /مصدر سابق

٦٦-شروق جليل ،الإيقاع في شعر شاذل طاقة رسالة ماجستير كلية التربية جامعة الموصل ٢٠٠٢/ص١٠٣

٦٧-اللغة الشعرية مصدر سابق ،ص٢٧١

٦٨- التوازي في الشعر العربي قراءة في الأنواع والاشكال /مصدر سابق